موسوعة حماة المصورة

أول وأضخم موسوعة علمية مصورة وشاملة لمدينة حماة وريفها

الجزء الأول

تأليف وتصوير
د. مصطفى حسن مغمومة

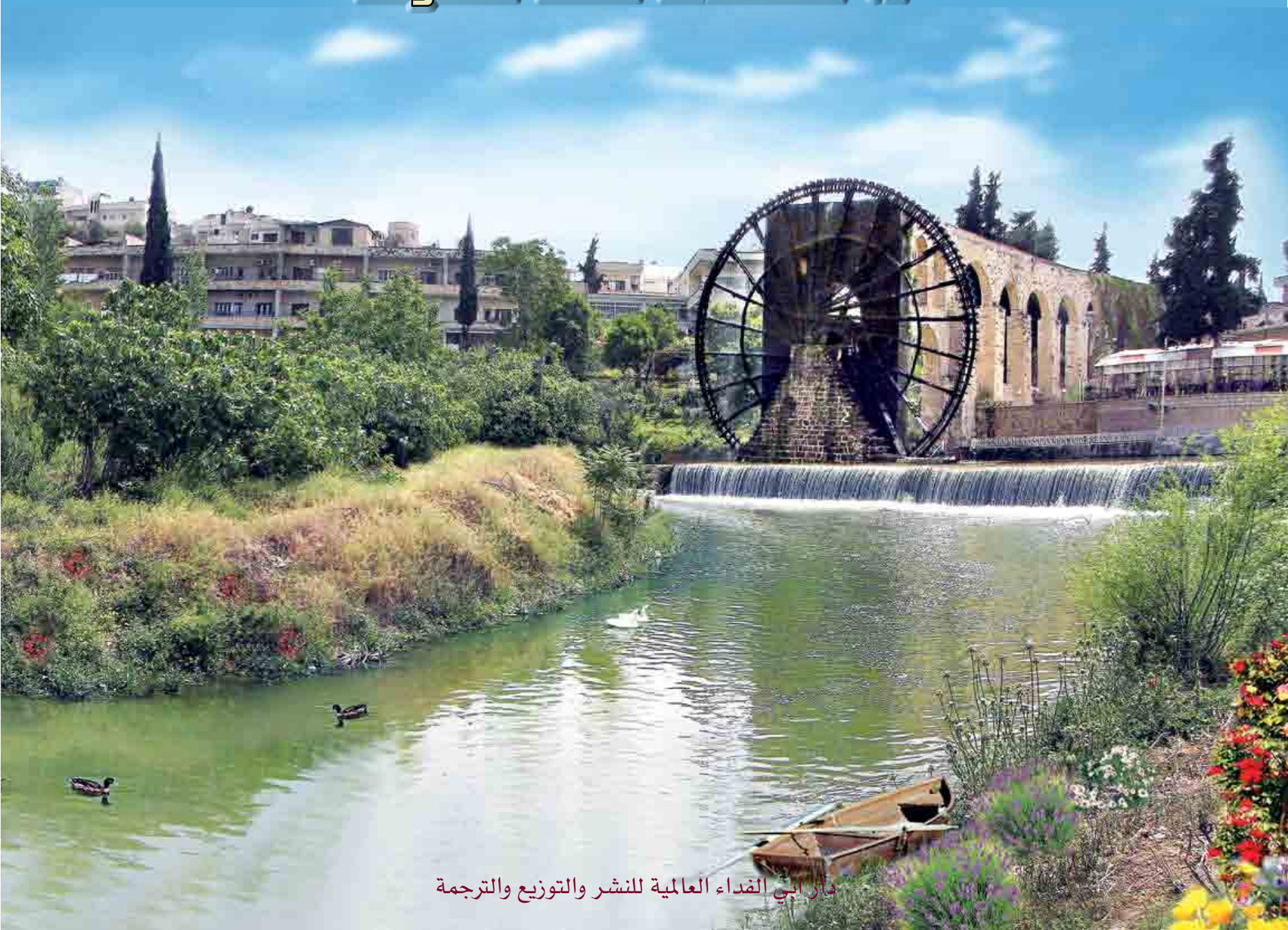

دار أبي الفداء العالمية للنشر والتوزيع والترجمة

- موسوعة: حماة درَّة على جبين سورية
- المؤلف: د. مصطفى مغمومة
- التصنيف: تاريخ - سياحة - آثار
- الإصدار الإلكتروني الأول: تموز / يوليو 2012
- الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 9789933912918

الإشراف الفني العام: مجموعة دار أبي الفداء العالمية للنشر والتوزيع والترجمة

الرئيس التنفيذي: الدكتور منقذ العقاد
المدير الإداري: الأستاذ نافع البرازي
الإخراج الفني: ديمه فخري
الإشراف الفني: عبد الله العقاد

مجموعة دار أبي الفداء العالمية للنشر والتوزيع والترجمة

سوريا - حماة - ساحة العاصي - مقابل البريد - ص. ب: 132
هاتف: 00963-33-2224438
فاكس: 00963-33-2224439
جوال: **00963-95-1211079**

الوكلاء في الخارج:
- الإمارات العربية المتحدة: عبد الله العقاد - هاتف: 00971508289982
- المملكة العربية السعودية: هشام الخيواني - هاتف: 00966500886376

الآراء الواردة في كتب الدار تعبر عن مؤلفيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

المؤلف

- الدكتور المصور مصطفى حسن مغمومة.
- مواليد: ١٩٦١ - حماة - سورية.
- دكتوراه في الآثار والسياحة من جامعة سانت كليمونتس - بريطانيا.
- دكتوراه شرف من أكاديمية الفنون الجميلة في روما - إيطاليا.
- دكتوراه تقديرية من المعهد العالي للسينما قسم التصوير - موسكو.
- زميل الجمعية الملكية اليريطانية للتصوير الضوئي.
- زميل رابطة أساتذة التصوير الضوئي في بريطانيا.
- عضو الاتحاد الدولي لفن التصوير الضوئي - إيطاليا.
- دبلوم المعهد البريطاني للمصورين المحترفين.
- دبلوم معهد نيويورك للتصوير الضوئي - أمريكا.
- خبير محلف لدى وزارة العدل - سورية.
- عضو مؤسس في جمعية المخترعين السوريين.
- حائز على شهادة امتياز الجودة من شركة كونيكا - اليابان.
- حائز على شهادة امتياز الجودة من شركة شامبيون - انكلترا.
- عضو مؤسس في جمعية أصدقاء البيئة - حماة.
- عضو مؤسس نادي التصوير الضوئي في سورية - رئيس فرع حماة.
- ئيس مجلس إدارة الجمعية الخيرية للرعاية الاجتماعية.

الإهـــداء

بسْـمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيـمِ

﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

- قبل أن أخط حروف الإهداء استوقفني قلمي بدوافع من القلب كي أحمد الله على نعمه وفضله الذي كشف بصيرتي وأنار عقلي وجعل اسمي من اسماء الرسول، وعملي من اسماء الله.
- إلى من كانا سبب وجودي وأسبغا علي من عطاياهم تربيةً وأخلاقاً وعلماً لتحقيق أفضل أمانيهم... أمي و أبي...
- إلى التي كانت وما زالت رمز اخلاص وسكينة... زوجتي...
- إلى الذين اتمنى أن يكونوا أفضل مني عطاءاً وعملاً... أولادي...
- إلى الذين حملوا الرسالة بعد والدي وكانوا خير من أدى الأمانة... أعمامي...
- إلى كل من له فضلٌ في تربيتي وتعليمي بتوجيهي إلى السداد والهدى... أساتذتي...
- إلى المخلصين الذين بقي منهم القليل... أصدقائي...
- إلى وطني الكبير بدفئه وعطائه سورية.... وإلى كل ياسمينة ووردة وشلال وناعورة أودعت عندي ابتسامتها... مدينتي حماة...

أهدي لهم عملي هذا وأرجو فيه المثوبة يوم لقاء الله

﴿ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

مصطفى حسن مغمومة

١- الآية من سورة البقرة (٣٢).
٢- الآية من سورة الشعراء (٨٩).

الجزء الأول

الإطار الجغرافي والتاريخي العام

المقدمـــــة

قد يمضي العمر، ولا يحقق الإنسان إلاّ بعضاً مما يصبو إليه. فربَّ كلمة تسمعها، أو حالة صفاء تمرُّ بها، تؤججُ مشاعرك من جديد. لِتُلّهِبَ أحاسيسك فجأة تجعلك نادماً على بعض ما فات. وهذا ما حدث لي عندما اطلعت على الدليل السياحي لسورية الصادر عن وزارة السياحة.

فصدمت بما رأيت من إجحاف لقيمة مدينتي حماة ومكانتها إذ لمْ تذكر إلّا في سطرٍ واحدٍ، ولم يُنشرْ لها سوى صورة واحدة وليتها لمْ تُنشرْ. فقلت في نفسي: ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ سورة البقرة (٢١٦).

تذكرت آنذاك كيف أنني والأستاذ وليد قنباز[1] رحمه الله، قد شحذنا الهمة على تأليف كتاب شامل عن محافظة حماة، يتناول موقعها وتاريخها وآثارها وما قال الشّعراء فيها ومكانتها التجارية على مرِّ العصور، وبعد أنْ عملنا به عدة أشهر، مرض الأستاذ وليد قنباز فطلب مني أن أتابع المسير وحدي.

كان هذا الطلب بمثابة عهد أخذته على نفسي لإنجاز هذه الموسوعة، وكانت هذه أمنيته الأخيرة. أمنية من يودع هذه الدنيا، دون أن يحقق بعضاً مما كان يصبو إليه.

فنقل إليَّ حبّه لحماة بإحساسٍ صادق، وهو ممّن جُلّت فيه الحكمة والبلاغة والأدب الجمّ. وقد وارته أخيراً في أحضانها، وضمّت إليها من كان يخلص الحب لها (رحمه الله تعالى)، ولكن الحمل أكبر مني بكثير، فلمْ أستطع متابعته وحدي.

انتظرت الأستاذ عبد الرزاق زقزوق[2]، الذي وافته المنية قبل كتابة هذه السطور (رحمه الله) فآليت على نفسي أن أدرس علم الآثار وعلم السياحة، لأنجز هذه الموسوعة بمشيئة الله تعالى إن كان في الأجل فسحة.

١- الاستاذ وليد قنباز أديب شاعر كان راويةً للدكتور الشاعر وجيه البارودي. و مدرساً للغة العربية ثم رئيساً للهيئة المركزية للرقابة والتفتيش.

٢- الاستاذ عبد الرزاق زقزوق: مديراً للآثار والمتاحف في محافظة حماة أنشأ متحف السقيلبية وساهم بإنشاء متحف المعرة وأنشأ متحف القلمون. وساهم بالإشراف على ترميم الجامع الأعلى الكبير ومتحف العظم والمتحف الجديد.

إنّني لأعلمُ أنّهُ مشروعٌ غير مربح، كما حصل معي في كتابي السابق (موسوعة التّصوير الضوئي) وبالرغم مما أتوقعه من المعاناة التي سأواجهها أثناء دراستي، من مواقف لا أحسد عليها سواء من زوجتي أو من أصدقائي، إلّا أن رد الجميل لمدينتي التي أحببت، جعلتني أركب المصاعب، وأتحمل لأواءها.

MISSIONS CARLSBERG EN SYRIE — Le 23 mai 1987.

Monsieur Kaleb Sawaf,
Bureau de Tourisme,
Hama,
Syrie.

Cher Monsieur,

Je tiens à vous remercier très vivement de votre lettre, à laquelle j'aurais dû répondre il y a beaucoup de temps, de vous remercie surtout de vos gentilles paroles et des belles cartes à images.

La raison de ma lenteur réside dans le fait que la Fondation Carlsberg devait se décider pour la publication d'un livre de vulgarisation sur Hama et les fouilles, que l'on m'avait demandé d'écrire. Maintenant la décision est prise, et j'espère pouvoir vous envoyer une copie déjà en automne de cette année. Malheureusement, la première édition ne sera qu'en danois; mais si le public la recevra bien, nous aurons l'espérance d'une édition française ou anglaise.

Dans ce livre j'ai, bien sûr, mentionné les villes des chasseurs et "prédateurs" paléolithiques dans la vallée de l'Oronte,et même à l'endroit de l'actuelle ville de Hama, à partir d'environ 500 000 avant notre époque. Mais un vrai établissement d'agriculteurs néolithiques, la constitution du premier village sur le site, n'a pas eu lieu avant le 6e millénaire av.J.-C. De ce temps date en fait la couche de culture la plus basse dans la Colline de la Citadelle de Hama. Elle contenait déjà de la céramique néolithique, et par conséquent les couches néolithiques a-céramiques constatées à Ras Shamra (Ugarit) et Jéricho prouvent que ces villes étaient plus anciennes.

Recevez, cher Monsieur, l'assurance de mes sentiments bien dévoués.

P.J.Riis

بعثة كارلسبرج إلى سورية — ٢٣ أيار ١٩٨٧

المتحف العالمي

دك- ١٢٢٠ كوبنهاغن، مملكة الدانمرك

السيد غالب صواف - مكتب السياحة - حماة - سورية

سيدي العزيز:

مع حرصي الكامل على شكركم على رسالتكم التي كان ينبغي الرد عليها منذ وقت طويل . أتوجه لكم بالشكر ولا سيما على عباراتكم اللطيفة وعلى بطاقاتكم المصوَّرة الجميلة.

يكمن سبب تأخري في الواقع أنه كان ينبغي لمؤسسة (كارلسبرج) العزم على إصدار كتاب عام عن حماة وعن التنقيبات التي كان قد طلب مني الكتابة عنها. وقد أخذ القرار الآن. وكلي رجاء أن أستطيع إرسال نسخة لكم في خريف هذا العام. وللأسف. لن تكون النسخة الأولى إلا باللغة الدانماركية؛ ولكن إذا تلقاها القراء بالقبول. فإنه من المأمول إصدارها بالفرنسية أو الانكليزية.

وقد قمت بالتأكيد. بالتنويه الى توطن صيادي العصر الحجري القديم لوادي العاصي. وفي نفس مكان مدينة حماة الحالية. من حوالي ٥٠٠٠٠٠ عام قبل عصرنا الحاضر. ولكن التأسيس الحقيقي الحضري للمزارعين بإنشاء أول قرية في الموقع. لم يحدث إلا قبل الألفية السادسة قبل ميلاد المسيح.

وفي الحقيقة منذ ذلك الزمن وجدت طبقة الزرّاع الأكثر انخفاضاً في هضبة قلعة حماة التي كانت تحوي آنفاً فخاريات من العصر الحجري الأخير (العصر النيوليتي). وبالتالي فإن طبقات العصر الحجري ما قبل الفخاري المكتشفة في رأس شمرا (أوغاريت) وجرش تثبت أن هاتين المدينتين كانتا أكثر قِدماً.

وتفضلوا سيدي العزيز بقبول فائق الثقة بمشاعري المخلصة. — توقيع: ب.ج.ر ي ي س

رسالة من نائب رئيس البعثة الدنمركية إلى مدير السياحة في محافظة حماة الأستاذ غالب صواف يوضح فيها بداية استيطان الإنسان الحموي في القلعة بالألفية السادسة قبل الميلاد رداً على سؤاله.

إنّها موسوعة عن عِلْمَين متكاملين هما: عِلْم الآثار وعِلْم السّياحة، اللذين يتعلقان بعلوم كثيرة واختصاصات أكثر، منها: الترميم والتنقيب والطبوغرافيا والتاريخ والهندسة المعمارية والسّياحة البيئية والتخطيط الاقتصادي السّياحي والجغرافية السّياحية والدعاية، كلّ هذهِ العلوم وغيرها يجب أن تكون مدعومة بعلم التصوير الضوئي واختصاصاته، وكلّها علوم تتضافر لتنتج مفهوماً محدداً للتسويق السياحي، فالسّائحُ عمادُ البنية للصناعةِ السياحية، وهو الذي يدرُّ ثروات لا تنضب للبلد المضيف.

إنَّ كل شيء في هذه الدنيا آيل إلى زوال، وقيمته تنخفض مع الوقت إلّا الآثار، كلما طال عليها الزمن ازدادت ثراء (كان زوج الكاتبة البوليسية أجاثا كريستي (ماكس مالوان) عالم آثار، فكانت تقول: كلما تقدمت بالعمر، ازدادت قيمتي عند زوجي).

منطقة الشير كانت بداية استيطان الإنسان الحموي منذ ٦٠٠٠ عام قبل الميلاد

الحيرة تملكتني، ماذا أكتب؟! أأكتب عن تاريخ مدينتي فقط؟ هذا غير واف، أأكتب عن آثارها؟ إنَّ هذا غير كاف، أأكتب عن بداية استيطان الإنسان بها منذ أولاد سيدنا نوح (عليه السلام) أم أكتب عن جغرافيتها ومناخها الجميل؟ أيضاً هذا جزء قليل مما تمتاز به حماة، أم أكتب عن التسلسل الحضاري الذي مرَّت به، أم أكتب عن مناظرها الخلابة؟ أم أكتب عن الشعراء الذين فتنوا بوصفها على مرِّ العصور؟ لا لا إنَّ هذا غير كاف، فمدينتنا لها تاريخ يعود إلى ٨٠٠٠ عام[1]، وهو زمن يحتاج إلى مجلدات ومجلدات...؟ لقد جُمِع ما اكتشفه العالم (أنغلوت) في قلعة حماة، في ثمانية عشر مجلداً (لم يترجم حتى الآن)، وقُدِّر عدد القطع التي جمعت منها بـ (٢٧١) ألف قطعة، لكنها بعثرت في متاحف العالم، فتخيل حجم العمل وكم من الزمن احتاج لترتيبها تاريخياً. أم أتكلم عن الحضارات التي تعاقبت عليها؟ فكلُّ حضارةٍ برعت في شيءٍ مكّنها من احتواء مدينتنا. إنَّ دراسةَ كلِّ حضارة تحتاج إلى معرفة بعلم السكان والاجتماع والموارد، وهذا يسير مع علم الآثار الذي كانت عليه تلك الحضارة في تلك الحقبة.

هل أكتب موسوعتي بشكل أدبي؟ إنَّ هذا يفقدها منهجها العلمي. أم أكتبها بشكل علمي بحت؟ فهذا يجعلها جافة، ولا تتداول بين الناس إلّا من قبل متخصصين ما يقلص من انتشارها. لذا كان دمج العلم والأدب هي الطريقة المثلى التي اتبعتها في موسوعتي، والتي آمل أن تكون نواة لموسوعة متكاملة في المستقبل.

إن قُبلةَ السياح موجودةٌ في بلدنا ألا وهي (النواعير) فهي ثمرة علومٍ وحضارةٍ قد سمت

١- يعود تاريخ مدينة أريحا في فلسطين إلى ٧٠٠٠ عام قبل الميلاد. وهي أقدم من مدينة حماة. لكن وجد بها فترة انقطاع تقدر بألف عام (هجرها أهلها). أما مدينة حماة فمنذ ٦٠٠٠ عام قبل الميلاد وحتى يومنا هذا سكنها الإنسان دون انقطاع.

لتبهر العالم بحركتها الدائمة دون جهد عضلي، لذا كان من واجبي أن أوثّق صناعتها فقد تعلمت الإخراج السينمائي على يد المخرج سمير سلمون (رحمه الله) ولم أعمل به حتى الآن إلّا فيلمين الأول عن صناعة النواعير، والثاني لقطات سياحية عن حماة سأوزعهما مجاناً مع هذه الموسوعة لأنّهما لن ينتشرا إلّا بهذه الطريقة حيث إنَّ كثيراً من النّاس يفضلون الثقافة البصرية وهذا ما تتجه نحوه الحضارة. فالكتاب آخذ في الانحسار شئنا أم أبينا، والتخطيط السياحي الذي لم يتفعّل في بلادنا قد أصبح عماد الصّناعة السّياحية في كثير من بلدان العالم. وهاهي منظمة السّياحة العالمية قد نشرت تقريرها عام ٢٠٠٤ وقد جاء فيه: (إنَّ الدخلَ السياحي العالمي سيبلغ عام ٢٠٢٠ معدلاً أكثر من دخل السلاح أو حتى المخدرات).

كم تمنيت أن أقرأ تاريخنا بشكلٍ متسلسل لا تنقطع فيه الأحداث ولا يكتنفه أي لبس أو غموض في أية حقبة من الحقب، وكم كنت متلهفاً لمعرفة بداية عصر الكتابة لأنّها تعتبر أعظم إنجاز للبشرية على مرِّ العصور! ولماذا كانت نواة اختراعه في سورية؟ وكم كنت متشوقاً لمعرفة السبب الذي جعل العرب يمتازون بكتاباتهم من اليمين إلى اليسار دون خلق الله أجمعين! وكم كنت متحيراً بحرفِ الضاد الذي تميزنا به وإليهِ تُنسب، ولِمَ انفردت به لغتنا دون لغات الأرض التي تعدُّ بالآلاف؟

ولماذا كانت تقام لنا معارض سنوية تعرض بها كلماتنا كما تعرض منتجاتنا في معارضنا اليوم؟ ولِمَ أمّنا هاجر (المصرية)[1] بالذّات هي التي أنجبت لنا نبيَّ الله إسماعيل؟ إذ كان من الممكن أن يتزوج أبونا نبيُّ الله إبراهيم (عليه السلام) بأيّة امرأة أخرى.... ولماذا ابتدأت كتابة اللغة برموز صورية حتى بلغت رموزها الآلاف (لا تزال الصين واليابان وشعوب أخرى كذلك حتى اليوم) ثم انتهت إلى (٢٨) حرفاً...

١- ولدت الأميرة هاجر في مدينة منف المصرية وهي من العرب السوريون الذين سمّووا بالهكسوس. وقد احتلوا مصر لـ ٢٠٠ عام.

إنَّ للحرف معنى بحدِّ ذاته، وهذا ما تشير إليه بداية السور القرآنية فلم يُسأل الرسول ﷺ عن شرح معناها لا من المشركين الذين كانوا يتربصون الدوائر برسول الله ولا من المسلمين أنفسهم، وهذا يدل دلالة أكيدة على معرفتهم بمعاني الحروف.... بل إنَّ جمالَ لغتنا بغنى مفرداتها وتمتازُ بأنّهُ لو عكست الجذر (الذي هو أصل الكلمة)، لانعكس المعنى.

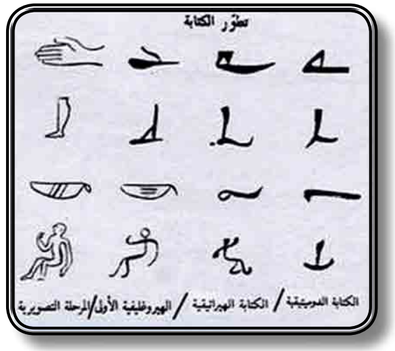

وهذه بعض الأمثلة على ذلك: (جزم - مزج)[1] (فرخ - خرف) (طوح - حوط) (لقى - قلا) (صخر- رخص) (راغ - غار) (ركن - نكر) (سود - دوس) (مور- روم)[2] (سرى - أرس) (رفع - عفر).... إلخ.... لماذا خصّ الله لغتنا بهذه الميزات جميعا. إنّ لغتنا قد بلغ عدد جذورها ثمانين ألفاً[3] وهي الأوسع من بين لغاتِ الأرضِ جميعاً ولأبيّن مدى اتساعها فالقرآن الكريم الذي يعد حجة في البلاغة والإعجاز حتى قيام الساعة لم يستخدم سوى ١٨٢٠جذراً. فعلاً هي لغةٌ اتسعت لكل ما احتوته الطبيعة من اشتقاقاتٍ واختراعاتٍ واستخداماتٍ وأحاسيس بالمشاعر حتى بأدقِ الخلجات واللفتات والآهات، وسبر كل ما يمكن أن تشعر به الروح والنفس. هل هي لغة توقيفية، أم من اختراع الإنسان؟ أسئلة كثيرة وكثيرة و كثيرة ربما يمضي العمر ولا أعرف أجوبةً عنها.

إنَّ مدينة حماة لها عمر يعود لثمانية آلاف عام. فهي موغلة في القدم ويعجز الإنسان أن يحيط بكامل تاريخها، لربما يوفقني الله لسرد تاريخها متسلسلاً، فجمعي من لآلئها المنثورة هنا وهناك سيشكل عقداً أضعه بكل إجلال وإكبار على جيدها، لتتباهى به بين المدن. ومن حسنِ حظي وحظ مدينتي أنَّ المشرفَ على الدبلوم العالي والماجستير ثمَّ الدكتوراه الأستاذ الدكتور (سلطان محيسن) الذي شغل منصب المدير العام للآثار والمتاحف في سورية لسنواتٍ طويلة، وهو غنيٌّ عن التعريف فله الفضل الأول في تشجيعي لإنجاز هذه الموسوعة الأولى عن محافظة حماة ورغم أنّه شديد وصارم، إلّا أنّه منصفٌ و دؤوبٌ فغايتهُ أن يبلغَ هذا العمل درجة الكمال.

١- جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة محمد عنبر ط١- ١٩٨٧.

٢- مور معناها التردد ، والروم معناها الاتجاه للقصد فهم يقولون هم روم له غير نوم عنه أي يقصدونه لا يغفلون عنه والروم ضد المور.

٣- من أقوال د. زكي جمعة مفتي الديار المصرية.

الإطار الجغرافي والتاريخي العام

عندما تقفُ الكلمةُ حائرة، لِتنسجَ ثوباً ملكياً لعروس تفردت بحسنها الرائع وجمالها الفاتن الذي يميزها عن سائر مخلوقات الأرض.. لا تجد أفضل من مدينة حماة.. فحماة خلقت لِتكبرَ مع الزّمن حتى تكون زمناً أكبر.

وإذا عدنا إلى الماضي البعيد البعيد، نجد أنَّ حماة مرآة حضارة تسلسلت وسرت حتى سمت إلى أعالي السماء كبرياء وشموخاً لما تميزت به من صفات المجد والخلود. وعندما نتكلم عن حماة يصبح الجمال سحراً، والنسيم عطراً، والقمر بدراً، والكلمات شعراً.

وإذا تكلمنا عنها وعن حضارتها لن نستطيع الوفاء لها أدباً وشعراً وتاريخاً.

تقع مدينة حماة في وسط سورية، فهي القلب العاشق والوجه المعشوق أزلاً، وتتربع في حضن واد استقرت فيه كما يستقر الطفل في حضن أمه، حيث يزنرها العاصي ويشطرها إلى شطرين لينثر على ضفتيه الخير والجمال... وشاء الله... أن يسكن الإنسان فيها لينعم بسكينةٍ خَصَّها بها الله تعالى وحباها جمالاً.. وكان ذلك منذ القدم.

لقد تحيّر الباحثون في تحديد ذلك الزمن ولكن البعثة الأميركية عام ١٩٧٩ برئاسة (ديزموند كلارك) التي جاءت إلى حماة اكتشفت أدوات حجرية في منطقة اللطامنة قرب حماة يعود تاريخها إلى مليون سنة. استخدمها الإنسان الحموي في حياته اليومية، وحفظت هذه الأدوات في متحف حماة الجديد. وبذلك تعد حماة أقدم مدينة في التاريخ. لاتزال مأهولة دون انقطاع.

أداة حجرية عمرها مليون سنة محفوظة في متحف حماة الجديد.

يحنُّ الإنسان إلى الماضي ويحتاج إليه ليستخلص منه العبر، فالتاريخ ليس سرداً للأحداث فحسب، بل هو قصة إنسان استوطن أرضاً ليستعمرها ويتكاثر فيها بعد أن يستصلحها. فباختراعهِ لأدوات ساعدته في استغلال ما وجده في الطبيعة أنشأ ممالِكاً، بعضها اندثر وبعضها يزال يشهد على عظمة ذلك الإنسان الذي أبدع وأنشأ صروحاً شامخةً وعاديات تحفظ روح الإنسانية على مرِّ الدّهور ونادراً ما يجتمع حبان في قلبٍ واحد، ولكن الله شاء وما شاء فعل. فقد خصّني بحبِّ التاريخ وحبّي التصوير وحبٍّ لبلدي التي نادراً ما كان التصوير يوثق معالمها.

يؤسفني أنَّ آلة التصوير مهما أوتيتْ من تقنية لا يمكن لها أبداً أن تنقل الأحاسيس والمشاعر التي يمكن أن يمنحها أي مكان أثري للمُشَاهد من جلالٍ وخشوع أمام محراب التاريخ، فكان لا بدَّ من إضفاء انسجام عند التصوير يبين الظل والنور والألوان والكادر وعمق المجال والمقدمة وتوازن الصورة.. لتخرج في النهاية صورة تجسّد عظمة هذه الأوابد للناس كافة.

أرجو من الله تعالى أن يوفقني لأنقلَ بعضاً من هذه المشاعر لعين المشاهد ليرى روعةً وجمالاً أخاذين ربما يعجز كلامي وتصويري عن البوح بمكنونها. فمقدرتي على صياغة الكلام لا تنفذ إلى أعماق ما أشعر به، ليس قصوراً في اللغة-حاشا لله- إنّها بالغة الكمال فقد تكلم بها الله تعالى، إنّما صعوبة اختيار المفردات يجعلني حائراً في وصف ما أرى فأحسُّ بكلِّ لبنة كيف بنيت وأحسّ بأنين الناعورة وهي تدور مترعة تشدو نشوى بأصوات تعيدك إلى الماضي البعيد رافعة الماء بأحضانها ليتسلل رويداً رويداً في مجرى صُنِعَ ليأخذه بعيداً واهباً الحياة لأرضٍ معظم أديمها من تلك الأجساد التي صنعت لنا هذا التاريخ.

مليارات من السنين هو عمر الأرض، ومئات الألوف هو عمر المخلوقات الحية، وبضعة آلاف فقط هو عمر الإنسانية جمعاء، وعشرات فقط هو عمر الإنسان ومع ذلك من الصعوبة بمكان تسجيل كل ما مرَّ عليها من أحداث. ولقد بدأ التنقيب في قلعة حماة عام ١٩٣١ وأوقف عام ١٩٣٨ بسبب الحرب العالمية الثانية وحتى الآن لا تزال التحف تستغيث من تحت الركام منادية بالخروج لتدهش العالم بما أبدعه أجدادنا.....

وأخيراً.. إن كانَتْ الصورةُ قد نقلت إليك عظمة ما شاهدْتُ، والكلمة نقلت إليك أحاسيس ما رأيْتُ، فهذا من توفيق الله وفضله وإنْ أحسست دون ذلك، فهذا قصور مني وعذري أنّ هذه هي طبيعةُ الإنسان.

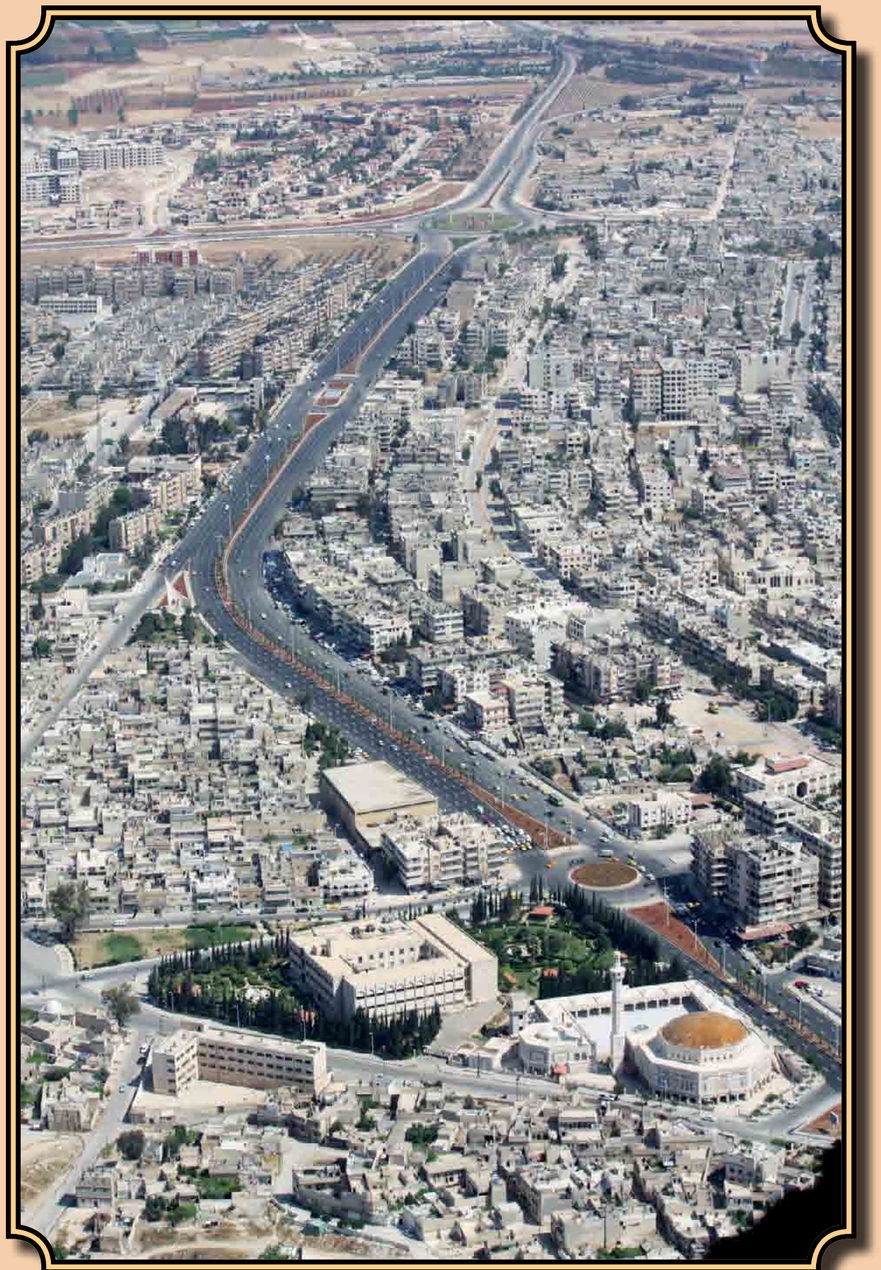

صورة جوية من تصويري عام ٢٠١٠ توضح في مقدمة الصورة جامع عمر بن الخطاب والمتحف الجديد.

مدخل لتاريخ حماة

كلنا يعلم يقينا... أن بدء الحياة الإنسانية كانت بآدم وحواء[1] وأنهما حملا منهج الله ليطبق في الأرض، ليعيش الإنسان في سعادة الدنيا والآخرة. فعلم بنو آدم أن الملك لله، وأن هذه الدنيا دار اختبار (وامتحان)، يثاب عليها المرء فيها وبعد موته، وأن الله واحد لا شريك له، وقد غرِسَ هذا في وجدانهم، كما غرِسَت القيم الأخلاقية والجمالية، سمّيت فيما بعد بالفطرة، فكانت لنا نبراساً في تقويم الأخلاق والحق والجمال، والتي اجتهدت الفلسفة على مرِّ العصور في وضع مقاييس لها فلم تفلح فكان لابدَّ من تدخل السّماء لإرسال شرائع تنظم حياة البشر.

واستمر تعاقب الليل والنهار لسنين طوال، فبَعُدَت الشقة بينهم وبين السماء، فقست قلوبهم و جعلوا لله أنداداً، ولما كان الله قد كتب على نفسه الرحمة، فإنّه جل جلاله لم يُعذب الناس بكفرهم، بل بعث إليهم رسلاً ﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء(١٥) ليهديهم للصراط المستقيم، وقد كان الرّسل يدعون إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن آمنوا بهم ينالون عز الدنيا والآخرة، وإن لجّوا في كفرهم فإنّ الله يُذْهِبهم ويأتي بخلقٍ جديد.

هذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا. وقد بعث الله النبي إدريس ليعلّم الناس الخياطة والكتابة وتدجين الحيوان ويعيد بناء الكعبة (بيت الله الحرام) كما ذكّرهم بعبادة الله وبالحياة الآخرة فأعاد للناس معرفتهم بالتوحيد. كما عرفوا أن هناك حساباً بعد الموت يثابون عليه حسب أعمالهم، إما جنة أو ناراً. وسارت مواكب الإيمان من بكه[2] (الاسم القديم لمكة) إلى اليمن ومصر وبلاد الشام لنشر الدين القويم.

١- أثبت العلم الحديث أن بداية انتشار الإنسان على هذه الأرض قد بدأ بأنثى وذكر وإنه أيضاً يثبت التوالي الرياضية ذلك وهذا يطابق تماماً ما أخبرنا به الله تعالى في كتابه العزيز.

٢- أحد اسماء مكة المكرمة. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة آل عمران آية ٩٦.

طال على الناس الأمد وقست قلوبهم فرفعوا إدريس (عليه السلام) في مصر إلى مرتبة الإله فأسموه بالإله (إيزوريس)[1] وقد أوحى الله إليه بشرائع لتنظيم حياة البشر سميّت بـ (كنزه)[2] وهو أولّ كتاب من عند الله (لايزال هناك في العراق حالياً حوالي مئة ألف مؤمن بكتاب النبي إدريس وتعليمات النبي يحيى يسمون الصابئة وقد ذكرهم الله في كتابه العزيز القرآن. مع قلة عددهم) وسار الناس على هدى كتاب الله يقطعون في سبيل رُقيّ البشرية أشواطاً وأشواطاً. أرسل الله إليهم نوحاً يذكّرهم بكتاب الله فاستكبروا وظلموا أنفسهم فأغرقهم الله لأنَّهم كانوا يعرقلون سير موكب الحضارة.

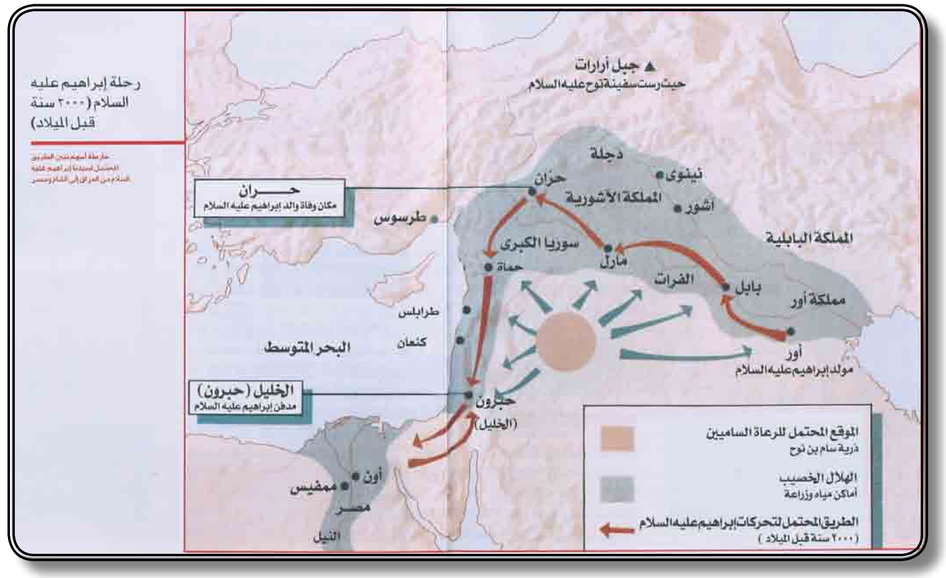

وبعد انتهاء الطوفان على الأرض الذي تحدثت عنه المكتشفات الأثرية، بدأ عصر الإنسانية من جديد بأولاد نوح (عليه السلام) والمؤمنين الذين نجوا معه وانتشروا في الأرض لاستعمارها ونقل رسالة التوحيد التي حملوها عن أبيهم، ولايزال العرب يحفظون أنسابهم متعاقبة حتى أبينا نوح (عليه السلام)، فابنه سام رحل ليستوطن بلاد اليمن وإليه ينسب الساميون.

١- السيرة النبوية - عبد الحميد جودت السحار - الجزء الأول صفحه ٢٣٦

٢- الملل والنحل - المسعودي - قسم الصابئة

استعملت كلمة سامية للدلالة على بعض اللهجات لأقوام عربية ارتحلت من اليمن لتستوطن فيما بعد (بلاد النهرين وسورية وفلسطين) والذي أطلق كلمة سامية هو العالم الألماني شلويتسر عام ١٧٨١م للدلالة على لهجات الذين ينسبون إلى سام بن نوح.

وابنه يافث ارتحل إلى بلاد الهند والصين، وشيث واستوطن بجوار بيت الله الحرام، وحام استقرَّ في بلاد فارس كما تسمى الآن إيران، وابنه حماث استوطن منطقة منخفضة في وادي نهر العاصي سميت هذه المنطقة فيما بعد باسم حماث، إلّا أنّ حرف الثاء امتداداً لحرف الهاء لأن المناخ اللطيف قد رقق كثيراً من مخارج الحروف (نلاحظ ذلك في سكان البادية ذات الطبيعة القاسية يقابلها ألفاظ خشنة ومخارج غليظة) فأصبحت فيما بعد تدعى حماة.

وقد تحقق الاستيطان الفعلي لهذه المنطقة في العصر الآشولي الأوسط في عدة مناطق أهمها موقع اللطامنة الواقع على بعد (٣٥) كم شمال غربي حماة. حيث عثر فيه على صناعات حجرية متميزة أهمها الفؤوس اليدوية ودلائل لمعرفة البناء واستخدام النار.

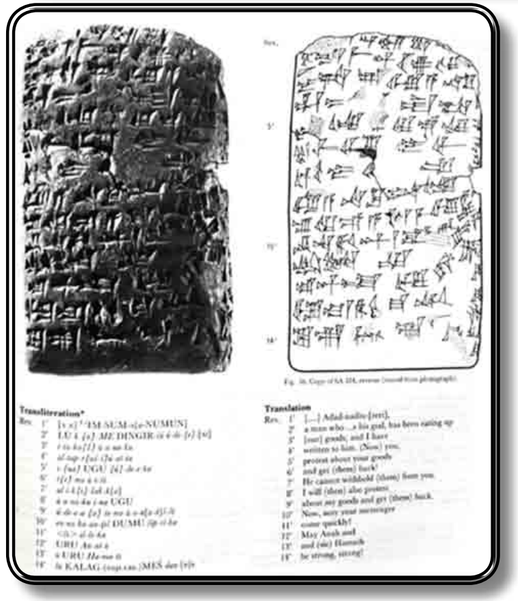

هذه أهم وثيقة وجدت في قلعة حماة ويعود تاريخها إلى عام ١٩٠٠ قبل الميلاد ويوجد في السطر ١٣ منها أن هذه المدينة هي مملكة حماث وهذا يؤكد أن تسميتها أتى من ابن نبي الله نوح حماث وهذا الرقمُ موجود في متحف حماة الجديد.

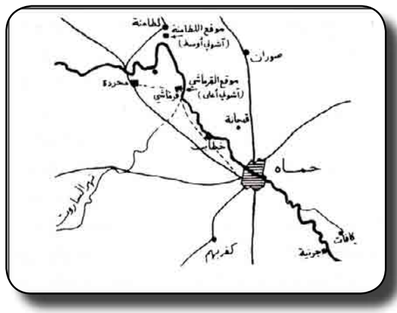

ما جعل من اللطامنة أهم المواقع النادرة في العالم. وفي الجنوب من اللطامنة وفي موقع القرماشي تمّ

اكتشاف معسكرٍ سليم عُرِفت فيه صناعة الفؤوس الرائعة وبنيت الأكواخ البسيطة واستخدمت النار للغذاء[1] وهي منذ ٤٠٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد وقد قام بالتنقيب الأستاذ فرنسيس أور والأستاذ الدكتور سلطان محيسن، وقد تبين لهم أن بعضَ هؤلاء السّكان قد توجهوا إلى البادية ليشكلوا الجماعات الأولى.

وفي عام ١٩٦٤ وعلى يد الباحث الهولندي (فانيرة)[2] الذي استفاد من كونه مختصاً بالتربة لدى الحكومة السورية وفي ذلك الوقت تمّ اكتشاف العديد من المواقع أهمها: موقع اللطامنة في حوض العاصي والذي يمثل أرضية معسكر بقيت سليمةً حتى بعد مرور ٥٠٠ ألف عام.

أسلحة حجرية كان يستخدمها الإنسان الحموي

إنَّ المؤتمر الدولي الذي عقد في جامعة ليون الثانية في فرنسا، أكد على الأهمية الاستثنائية المحلية والعالمية لعصور ما قبل التاريخ في سورية.

وفي عام ١٩٧٩ أتمت الكشف البعثة الأمريكية برئاسة الأستاذ ديزموند كلارك فكشفت موقعاً سكنياً يعود للطور الأوسط (العصر الحجري الحديث - العصر النحاسي الأول) والإنسان في ذلك الموقع قد قام بصنع الأدوات اللازمة والدفاع عن نفسه، وبذلك يكون حوض العاصي أقدم منطقة حتى الآن نبتت فيها بذور الحضارة.

١- هو منهج يعتمد على التحلل ذو النشاط الإشعاعي لنظائر البوتاسيوم -٤٠ الإشعاعية النشاط (K40) والغاز الخامل آرغون ٤٠ - (Ar40) ، ضمن الصخور البركانية. يستخدم الجيولوجيون هذا المنهج من أجل التحديد الزمني للصخور البركانية العائدة لأكثر من ١٠٠٠٠٠ سنة خلت ، وهي عبارة عن تقنية كثر استخدامها من أجل تحديد زمن المواقع الأثرية العائدة للإنسان البدائي في إفريقيا والتي يمكن أن تصل حتى ٥ مليون سنة ، ويعود هذا بفضل التحلل البطيء للعنصر (K40) ونصف حياته هي ١٣٠٠ مليون سنة.

٢- مجلة العمران - إحسان العظم - ١٩٦٧- ص ٨.

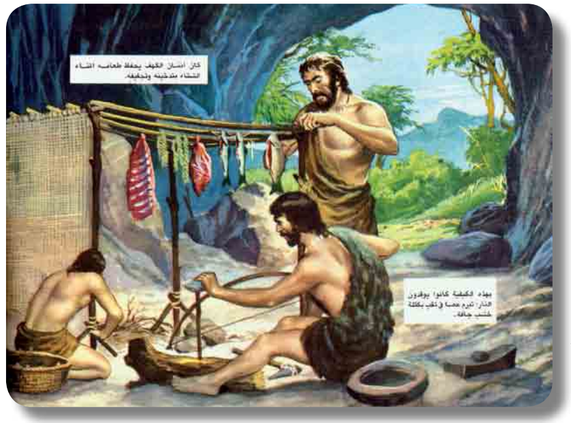

رسم تخيلي لاستيطان الإنسان الحموي في إحدى المغارات التي تقع في الشير.

ولقد دعت حاجة الإنسان الحموي إلى الزراعة على ضفاف العاصي، فقد اُكتِشفَت حبوبٌ من القمح والشعير متفحمة قرب ضفاف العاصي فتبين بالكربون المشع[1] أنَّ عمرها ٧٠٠٠ عام قبل الميلاد وتشير إلى ذلك أيضاً المكتشفات الأثرية التي تمت في عدد من الكهوف والمغاور في الجهة الغربية لقلعة حماة (منطقة الشير حالياً).

إلّا أنَّ الإنسان عاش فيها منذ فترة سحيقة تسبق تاريخ ابتداع الكتابة بعشرات الألوف من السنين، وفي الألف السادس قبل الميلاد، استوطن الإنسان سهلاً خصيباً يحضنه نهر العاصي حيث بنى مساكنه من أغصان الأشجار المطلية بالطين، ومع تكاثر ما اصطاده من حيوانات اكتشف أن جلودها خير عازل للعوامل الجوية وهذا ما دلت عليه الطبقة الثالثة عشر (الأخيرة) في قلعة حماة عند تنقيب البعثة الدنمركية فيها برئاسة هارلوت أنغولد.

١- يعد الكربون المشع (C14) شكلاً من الكربون الذي يوجد في الجو بطريقة مستمرة ومنتظمة ، وينتقل بطريقة منتظمة كذلك إلى المخلوقات الحية كافة من خلال أوكسيد الكربون. وفي حال موت النبات أو الحيوان يتوقف عن امتصاص الكربون (N14)، ويبدأ تركزه بالمخلوق الحي بالتقلص حيث يتحلل هذا الكربون ويتحول إلى (N14). أما نظام هذا التحلل فهو التالي : يسمى بنصف الحياة ذلك الزمن الذي يستغرق في عملية تحلل نصف ذرات نظير (C14) وهذا الزمن معروف بـ ٥٧٣٠ سنة ، وبعد مرور ٥٧٣٠ سنة سيكون لدينا نصف الذرات، وبعد مرور١١٤٦٠ سنة سيكون لدينا ربع الكمية الأصلية وهكذا....

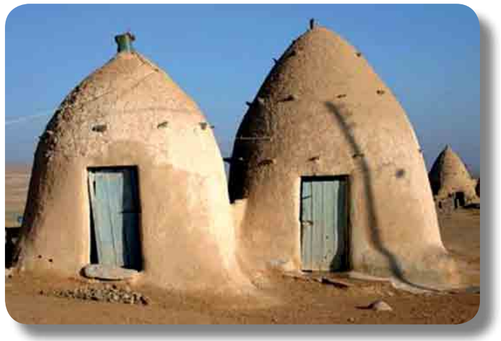

إنَّ تطور المساكن كان له شأن كبير الأهمية في استيطان الشعوب، فاكتشاف الطين الممزوج[1] بكثير من سيقان سنابل القمح والشعير منحته صلابة جعلت منهُ مادة قوية تتحمل الأثقال. فبدأت الجدران تعلو لتصبح سوراً منيعاً في وجه الطامعين، فكان هذا بداية عصر الفخار.

وبتطور المدينة كان لا بدَّ من الاستفادة من صوف الخروف والماعز فدعت الحاجة إلى اختراع المغزل ثم النول ليحاك عليه من الثياب والبيوت لمن كانوا دائمي الترحال، كانت هذه البيوت خير مكان لهم فهي تقيهم زمهرير الشتاء وقيظ الصيف.

ومن البدهي أنّ الإنسان استخدم خلال تلك العصور الطويلة لغةً تفاهمَ بها مع أخيه الإنسان[2]، إلّا أنّ معلوماتنا عن تلك اللغة قليلة جداً بل معدومة وذلك لأنَّ الكتابة التي هي وسيلة لحفظ اللغة والأرشيف التاريخي المُورّث إلى الأجيال التالية لم تكن معروفة، وربما كان ممكنا معرفة الفصيلة أو العائلة اللغوية التي تنتمي إليها لغة السكان القدماء من خلال بعض المفردات اللغوية والتسميات الجغرافية وضمائر المخاطبة التي لاتزال سائدة حتى الآن.

وهذا يدلنا على أن اللغة العربية هي التي كانت لغة المخاطبة في تلك العصور[3].

١- د. فيصل عبد الله ود. عيد مرعي , منشورات جامعة دمشق كلية الآداب. قسم التاريخ ٢٠٠٦ ص٣٤.
٢- مولد اللغة أحمد رضى العاملي - تعليق نزار رضى - بيروت - ١٩٦٨.
٣- تهذيب المقدمة اللغوية - عبد الله العلايلي - تحقيق د. أسعد علي ط - ١٩٦٨.

لوح من الطين فريد من نوعه اكتشفته البعثة البلجيكية الأوربية في مدينة (نابادا قرب مدينة الحسكة) يبين بحروف مسمارية اللغة الأكّديّة.

وفي النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد ابتدع العراقيون القدماء في القسم الجنوبي من العراق أوّل وسيلة تدوين عرفت في العالم، حيث دونوا علاماتهم الصورية المستخدمة وسيلة للتدوين على ألواح الطين. فكانت تكتب بأداة خشبية مدببة تشبه المسمار (لهذا سميت بالمسمارية)، ويرقى تاريخ أقدم الألواح التي تحمل علامات صورية مفهومة اللغة إلى دور (جمدة نصر)، أي إلى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، ثم انتقلت هذه الكتابة الصورية إلى مصر بعد ٥٠٠ سنة لتسمى هناك اللغة الهيروغليفية.

رقيم طيني - تل القنطار - سورية.

رقيم طيني - تل القنطار - سورية.

إنَّ كلمةَ هيروجليفية[1] هي عربية قديمة وتعني الرسم أو التصوير أو النقش بالقلم على لوح الطين اليابس وهي مؤلفة من كلمتين:

١- (أوري = رسم، نقش، زخرفة، زينة، تصوير) مدينة أور تعني مدينة الزخارف أو النقوش والتصوير لأنَّها تجسّد صور الآلهة من مردوخ وانا وسين وقد كانوا يحجون إليها من جميع البلدان وهي مدينة أبينا إبراهيم أبو الأنبياء.

٢- (جليفو = نوعٌ. من الطين اليابس وهي بالعربية الحديثة لا تزال الجلف) وتعني لوح الطين اليابس. ورجل جلف أي خشن أو قاس، وليست كلمة إغريقية تعني الكتابة المقدسة كما افترض وزعم المؤرخون في الغرب. وقد تبين أن لغة تلك الرموز هي السومرية نسبة إلى عاصمتهم سومر ما دفع العلماء المحدثين إلى الاعتقاد بأن السومريين كانوا أوّل من سكن أرض جنوبي العراق وأنَّ لغتهم كانت أول لغة استخدمت في تلك المنطقة لأنَّها كانت أوّل لغة مدونة.

معجم ثنائي اللغة من السومرية للأكديّة وجد قرب بغداد

إلّا أنّ الباحث لاندزبرجر (landsberger) عارض هذا الاعتقاد وجاء برأي جديد اعتمد فيه على دراسة وتحليل الآثار المادية التي خَلفها الإنسان الذي عاش في الألف الخامس والرابع قبل الميلاد في القسم الجنوبي من العراق.

١- د. أحمد داوود تاريخ سورية القديم - المركز - ص٦١.

ولذا فإنَّ اللغةَ السومريةَ لم تكنْ أوّل اللغات المستخدمة بل سبقتها لغة سكان (دور العبيد)[1] (اللغة العربية القديمة) الذين هاجروا من سورية حالياً واستوطنوا جنوب العراق[2].

وقد أيد هذا الرأي الباحث المعروف جلب gelb وأضاف إلى هذه الأدلة أدلة أخرى تاريخية ولغوية كما أن العالم الإنكليزي رولنصن قد وجد من خلال دراسته لبعض النصوص المسمارية المكتشفة في نينوى أنَّ هناك جداولاً مسمارية ثنائية اللهجة تضم مفردات بابلية وإلى جانبها ما يقابلها بلهجة أخرى جديدة تماما لا علاقة لها باللغة البابلية أو الآشورية وقد أطلق رولنص على هذه اللغة اسم اللغة الأكَّديّة (نسبة لعاصمتهم أكَّاد). كما أشار رولنص بعد ذلك إلى أن هناك نصوصاً مسمارية كُشف عنها في بلاد بابل وهي ملونة بهذه اللغة الجديدة التي أطلق عليها اسم اللغة الأكَّديّة وهي تعد اللغة الثانية والأوفر أهمية من اللغات القديمة كما أنَّها من اللهجات العربية[3].

معجم ثنائي اللغة من السومرية للأكَّديّة

وعلى بعد ١٠كم إلى الجنوب من الحدود السورية التركية، هناك تل من أضخم التلال في منطقة الشرق القديم، إذ تبلغ مساحته مئة هكتار، بدأ بالتنقيب فيه عام ١٩٨٥ من قِبل بعثة ألمانية برئاسة البروفسور أنطون مورتجات.

إن التنقيبات في تل خويرة أكدت أن هذا الموقع يعود إلى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد (عصر مسيليم - جمدة نصر) وقد كانت التماثيل المكتشفة تحمل الخصائص نفسها الفنية والتعبيرية للحضارة السومرية (فرق المسافة بينهما ٦٠٠كم) في منطقة ديالي (تل أسمر - مدينة أشنونا القديمة) والتي يعتقد أنَّ أسلاف الساميين (العرب) قد صنعوها وذلك قبل ظهور الإمبراطورية الأكَّديّة، ما يدلُّ على وجود القبائل السامية (العربيّة) في شمال بلاد ما بين النهرين.

١- ألقى Gelb بحثه في المؤتمر التاسع للآشوريات المنعقد في جنيف عام ١٩٦٠ وأضاف أدلة مأخوذة من إثبات العلامات المسمارية التي وجد أن البعض منها يذكر القيم الصوتية دون ما يراد منها من قيم رمزية لمفردات غير سومرية ورثها السومريون في نظام كتابتهم المسمارية. وذهب هذا الباحث أبعد من ذلك ورجح أن السومريين كانوا قد أخذوا الكتابة المسمارية عن تلك الأقوام.

٢- البلاغة في أصول اللغة - محمد صديق حسن خان - تحقيق محمد نذير مكتبي - بيروت ١٩٨٨.

٣- كان أول من استخدم المصطلح في العصر الحديث وبغض النظر عن مدى دقة استخدامه الإنكليزي رولنصن وذلك عام ١٨٥٢م.

إنَّ للحرف معنى بحدِّ ذاته، فشكل الحرف العربي الحالي ينمُّ عن حالة الترميز التي صدر عنها فحرف الباء (ب) يرمز لأسوار البيت لذا له نفس الشكل، وحرف الميم (م) يرمز إلى الماء فكل الكلمات الصادرة عنه تعني الحنان والرقة والليونة....إلخ، وحرف القاف (ق) مشتق من قرن الثور وبما أنه مصدر قوة للثور فكان اشتقاق هذا الحرف لكلمات تدل على هذا المعنى منها: (قوة- قتل - قلع - قمع - قضم - قص - قنبلة - قرش - قاضٍ - قوس - قائد - قلم - قذف - قبر - قدر - قعقع - قثم - قسم - قلقلة - قصم) فكان استغلال حنجرة الإنسان العربي وعُرُبِها تستغل استغلالاً مذهلاً لمخارج الحروف في كل أصواتها وحركاتها فلا يمكن أبداً أن يوجد صوت أو حرف ينمُّ عن حالة ما إلّا ووجد حرفٌ في العربية يصادق ما يكون، فكان حرف الضاد هو نهاية استغلال حنجرة الإنسان للأصوات.

إن لغتنا العربية قد اتسعت لوصف ما حوته الطبيعة من أجناس واكتشافات واشتقاقات واختراعات وتعابير تصف أدق الأحاسيس والخلجات في النفس الإنسانيّة. لغة بلغت الكمال لاستقبال كلام الله فأحاطت بكل شيء إسما.

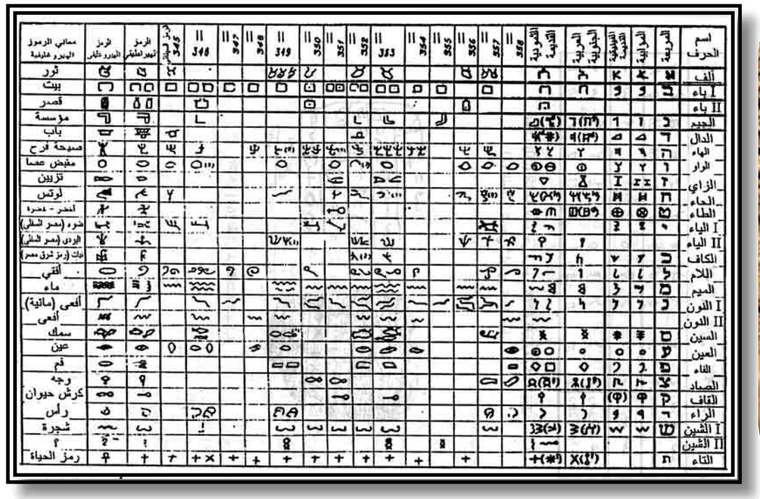

اقتراح جاردنر للمقارنة بين الكتابة السينائية والكتابة الهيروغليفية المصرية والكتابة الأبجدية السامية.

لوح من الطين مكتوب عليه باللغة الأكَّديّة وجد في تل البيدر في نابادا.

أنشأ السومريون والأكاديون في الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين الإمبراطوريات المبكرة. لأنّ الكتابات التي وجدت في نابادا (تل البيدر) قرب محافظة الحسكة غير عادية فالخط سومري في حين أنَّ اللغة سامية أكديّة (عربيّة)، وقد أقرَّ علماء اللغات القديمة أنَّ الساميين هاجروا إلى بلاد الرافدين نحو الألف الرّابع قبل الميلاد مختلطين بالسومريين (أبناء عمومتهم) حيث هَيْمنوا في النهاية على حضارة هذه البلاد وانشؤوا في بدء أمرهم مراكز في مدن رئيسة مثل: أور (مدينة أبينا النبي إبراهيم) وكيش ولاجاش وأكادية[1] فأخذوا يوسعون حكمهم شيئاً فشيئاً ليشمل كل المنطقة التي أصبحت بابل فيما بعد، و العموريون في الجهات الغربية من بلاد الرافدين في الألف الثاني قبل الميلاد حيث أنشؤوا مدناً مثل: آشور و ماري. وقد احتفظ متحف بغداد بالآثار السومرية للذين اعتمدوا على كتاباتهم لأنَّها الوحيدة التي كانت موجودة للتعبير عن لغتهم. وبنى السومريون أول طراز من أبراج المعابد المستديرة التي أصبحت فيما بعد من معالم المدن البابلية كما يعود الفضل لهم باختراع الدولاب. فالاكتشافات الفخارية الأخيرة في تل العبيد (٤٠٠٠-٣٥٠٠) قبل الميلاد بينت عدداً من المراكز الهامة لصناعة الفخار المشوي والآجر، أهمها: تل العبيد وأور (مدينة أبينا النبي إبراهيم) (عليه السلام) وأوروك وكيش[2]. وهذه بعض من الأواني الفخارية التي وجدت في قلعة حماة مبينة أن صناعة هذه الأواني الفخارية قد تم صنعها يدويا حيث لم يكن الدولاب مخترعا بعد، لذا كان التوازن والتناظر ضعيفا وسماكة جدران هذه الأواني كبيرة جداً[3] كما تبين لنا إحدى الجرار التي وجدت في قلعة حماة استخدام الدولاب لكن بسرعة بطيئة ما يعطينا تفسيراً

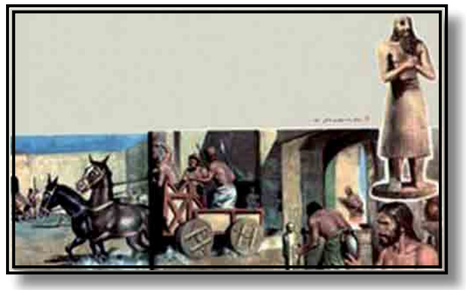

رسم تخيلي لاستخدام السومريين للدولاب في حياتهم اليومية

وجدت في قلعة حماة وهي محفوظة في متحف كوبنهاغن حالياً.

١- رضا جواد الهاشمي، العرب في ضوء المصادر المسمارية، مجلة كلية الآداب بغداد العدد (٢٢) ١٩٧٨ ص ٦٣٩.
٢- أ.د. سلطان محيسن آثار الوطن العربي القديم، آثار شرقية، المطبعة الجديدة، دمشق عام ١٩٨٨.
٣- د. محمد شعلان الطيار، جامعة دمشق، كلية الآداب قسم الآثار ص ٢٠.

لسماكة الحواف الكبيرة. وإنَّ ظهور الأواني الفخارية كاملة الاستدارة يدلُّ على استخدام الفاخوري (صانع الفخار) للدولاب الذي يدار باليد على محور ذي سرعة بطيئة وكان لهم الفضل في إكساب الفخار المشويّ متانة أكثر بإضافة القليل من التبن إلى العجينة الغضارية. وقد ساهم استخدام العجلة بتسريع وتيرة العمل وازدياد الطاقة الإنتاجية. إنَّ هذا الدولاب قد فتح آفاقا للتطور الحضاري، فوجود الآنية الفخارية بكثرة ساعد كثيراً على استقرار الشعوب حيث تمَّ الحفاظ على الحبوب وكل ما يلزم من مؤونة لاستقرار العيش.

في حقبة أوروك (٣٥٠٠-٢٨٠٠)[1] قبل الميلاد كان هذان المركزان من أهم مراكز صناعة الفخار، وقد اكتشفت أوانٍ فخارية تدلُّ على اكتشافهم لدولاب الفخار السريع الذي هذَّب كثيراً صناعة الفخار وجعل الآنية رقيقة وذات حواف عالية ناهيك عن الصبغ الحمراء والخضراء. فهذا يدلُّ على أنَّها صنعت على دولاب ذي سرعة عالية. وكان الأكاديون مواطنين عرب قد تسربوا بهجرات عديدة من سورية واستقروا في الجهة الشمالية من الإقليم الذي يعيش السومريون فيه، حتى إذا طال عليهم الأمد وبعدوا عن عصر النبوة، أخذ الضعف يدبُّ في أوصالِ الإمبراطورية وشعلة الإيمان تخبو. وبعد مضي مئة عام على العهد الزاخر بالرفاهية مُني السومريون بالدمارِ، كما انهارت المملكة الأكَّديّة على أيدي الجوتيين (شعوب عاشت في إيران) وذلك في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، فقسمت الإمبراطورية وظهرت مجموعات من الممالك العمورية أهمها: مملكتا (إيسين ولارسا). وفي عام ١٨٠٠ ق.م قام حامورابي بتوحيد مملكتي (إيسين ولارسا)، وأنشأ الإمبراطورية البابلية بابل القديمة وهي حضارة لاتزال آثارها قائمة حتى الآن... طال على الناس الأمد، وخبت جذوة الإيمان... فادعى الملوك أنَّهم من نسل الآلهة، تذكرهم النصوص الدينية في (القرآن والتوراة

وجدت في قلعة حماة (لاحظ دقة التوازن لكن الحواف لازالت سميكة) لاتزال محفوظة في متحف كوبنهاغن.

تم اكتشاف هذه الجرار في تل خويره قرب الحسكة ٣٥٠٠ق.م

١- علي أبو عساف، فنون الممالك القديمة في سورية، دار الشمال، دمشق ١٩٩٣ ص٢١.

أنّهم اتخذوا لأنفسهم عروشاً تشبُّهاً بعرش الله).

وقد بينت الآثار المكتشفة عند البابليين معرفة إحدى عجائب الدنيا السبع وهي: حدائق بابل المعلقة. وقد كانت السقاية لهذه الحدائق المعلقة تعدُّ أعجوبة أكثر من الحدائق نفسها... فكان النبي إبراهيم (عليه السلام) هو المنقذ من الضلال فقد ولد وترعرع في مدينة أور (العراق حالياً) حيث كانت عبادة الأصنام هي المنتشرة لكنهم طردوه بعد نشره لرسالة التوحيد التي كُلِّف بها فخرج لنشر دعوته لإعلاء كلمة الله في بلاد الشام فكان الصِّدام بينه وبين المصريين الأسرة الثالثة عشر (الذين نهبوا أمواله وماشيته فقد كانوا في أوج مجدهم بعد أن انتصروا لتوهم على الهكسوس) (وهم عرب خرجوا من بلاد الشام واستوطنوا في مصر لمدة ٢٠٠ عام) فوجد فرصةً للذهاب إليهم ودعوتهم لرسالة التوحيد فكان اللقاء بينه وبين فرعون مصر الذي وجد فيه مهابة الأنبياء فأعاد إليه ما نهبه جنوده معتذراً وقدم له هدايا كثيرة، من ضمنها أمنا (هاجر) أميرة مدينة منف التي أخذت أسيرة بعد أن قتلوا زوجها واحتلوا مدينتها فَقَبِلَها النبي إبراهيم (عليه السلام)، (ثم تزوجها فيما بعد)، وتذكر جميع النصوص الدينية أنَّهم استوطنوا في بكة بجانب البيت العتيق حيث أعادوا بناءه بأمر من الله تعالى بعد أن تهدم بطوفان نوح، فأنجبت هاجر النبي إسماعيل (عليه السلام) الذي كبر وترعرع بجانب الكعبةالمشرفة وابتدأت بتعليمه القراءة

اللغة بالمصرية	الرموز الهيروغليفية	اللغة بالسامية	السامية القديمة
j		'	
b		b	
h		h	
s		k	
n		n	
z		s	
q		'	
f		p	
r		r	
š		š	
t		t	

مقارنة بين الرموز الهيلوغريفية والرموز العربية .

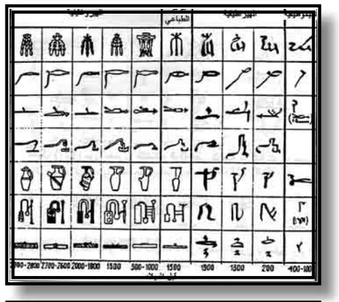

تطور الرموز إلى بداية أشكال الكتابة.

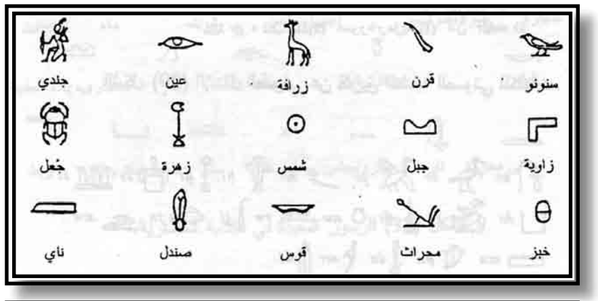

بعض الرموز المصرية لمخلوقات حية.

والكتابة كما تعلمتها في مدينة منف. حين كانت أميرةً عليها. ليبتدِئ الخط العربي يلين ويتقوس[1] في يد هذه المرأة الصالحة التي ادخرها الله لهذا وعند إتمام بناء الكعبة أمرهم الله بالطواف حولها من اليمين إلى اليسار واتخذتها هاجر إشارة من الله لتعليم إسماعيل الكتابة من اليمين إلى اليسار رغم أنَّها أصعب لكن هذه إرادة الله وانتشر أسلوب الكتابة هذا في أصقاع الأرض التي هاجر إليها أبناؤه. ليصبح الخط العربي أَلْيَنْ وَأَرَقّ مما كان في مصر[2]، فكانت رسالة أمنا هاجر عظيمة جداً حيث أعادت إلينا الخط العربي بعد تطوره في مصر ودخوله إليها من بلاد الرافدين، منذ أكثر من ألف عام. لنصبح بذلك الأمة المتفرّدة وحتى قيام الساعة تقام لنا معارض في جمالية الخط، فلا يزال الفنانون يفاجئوننا كل يوم بلوحات مبهرة للخط العربي الذي لا نهاية لإبداعاته. ثمَّ تزوّج إسماعيل من إحدى القبائل العربية التي استوطنت حول مكة بعد أن استأذنت هاجر بالسكن قربها عند تفجّر نبع زمزم بجانب الكعبة وهي (قبيلة جرهم العربية) لتعود شعلة الإيمان تشع من جديد لتصبح منارة للتوحيد حتى حين تكاثر أبناء إسماعيل لتصبح مكة غاصّة بهم، فابتدؤوا الهجرة إلى بلاد الشام من جديد، موطن جدهم وجدتهم. آخذين معهم بعضاً من أحجار الكعبة لتذكرهم ببيت الله الحرام.

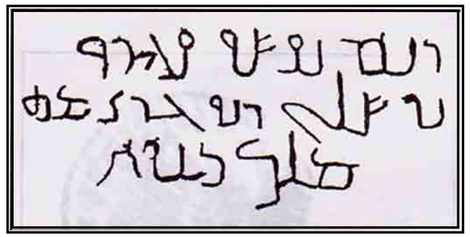

نقش أم الجمال عثر عليه في موقع أم الجمال في حوران جنوب سورية وهو لقبر فهر بن سلبي مربي جذيمة ملك تنوخ المعاصر لزينب. كتب بالخط المتأخر وتاريخه نحو ٢٥٠ ميلادية.

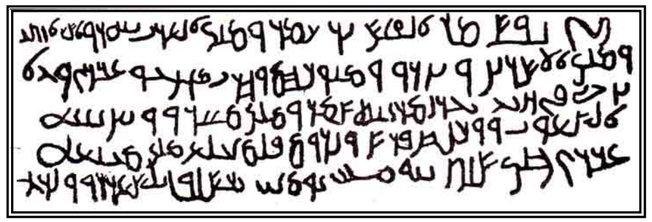

نقش النمارة: هو نقش عربي شمالي كتب بالخط الآرامي النبطي عثر عليه الفرنسي رينيه ديسو لقبر امرئ القيس بن عمرو بن عدي ملك العرب وعاصمته الحيرة عثر عليه في موقع النمارة شرقي جبل العرب وتاريخه يعادل ٣٢٨ ميلادي. وهو في متحف اللوفر بباريس ولدينا نسخة جصية عنه في متحف الخط العربي بدمشق.

١- جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة محمد عنبر ط١- ١٩٨٧.

٢- من صفات المرأة الرقة والحنان وهذا ما نلاحظه في أزيائها ومقتنياتها. فكلها تتجه نحو الليونة في الخطوط عكس صفات الرجال اللذين يمتازون بالصلابة وبحبهم للخطوط المستقيمة.كما أنها امرأة كانت أميرة في بلادها. أي أنها ذات حسب ونسب كما أن معيشتها كأميرة مهدت لها بأن تتعلم جميع العلوم الموجودة في زمانها. وقد ادخرها الله لتعلم نبي الله إسماعيل الخط العربي بعد أن أضافت إلى الخط العربي القديم (الهيلوغرافي) كثيراً من الإلتواءات والانحناءات بسبب الرفاهية والرقة التي اكتسبتها طوال حياتها (المؤلف) راجع كتابي الموسوعة المختصرة في علم التصوير الضوئي قسم الدعاية .

وتوالت الأيام وتعاقبت السّنون. فقست قلوبهم وعبدوا تلك الحجارة لذاتها، وإليه ينسب الأنباط (الإسماعيليون) الذين استوطنوا الأردن و بنوا مدناً منحوتة بالصخر بعد أن أمدَّ الله في أعمارهم. ولقد استفاد الآشوريون من الحضارات السابقة، فاستخدموا الدولاب خير استخدام إذ كانت عرباتهم الحربية لا يشق لها غبار.

لاحظ في هذه الصورة كيف أن محور العجلتين مثبت في مؤخرة العربة تماما وهذا يجعل ثقل الحمل الموجود في العربة يرتكز على الدولابين كثيرا ويحمل جزءا قليلا منه الحصانان وهذا يؤدي إلى تلف محور العجلتين بسرعة كبيرة ما يجعلها بحاجة للصيانة بعد مسافة قصيرة.

آشور بانيبال الملك الآشوري الأول الكبير.

واكتشف أيضاً أن الآشوريين قد طوروا حدائق للحيوان وحدائق للنبات فقد بلغوا من الترف منتهاه. بدأ الوهن يدب في أوصال هذه الإمبراطورية وبدأت شعلة الإيمان التي نفحها آشور بانيبال الملك الآشوري الأوّل الكبير تخبو فقد كان مقاتلاً غليظ القلب وإليه يرجع السبب في وصف الآشوريين بالفظاظة والقسوة[1].

أما الكنعانيون (الفينيقيون) أحفاد كنعان بن سام بن نوح (عليه السلام) الذين أتوا من شبه الجزيرة العربية. فقد استقروا أيضاً في

قائمة بأشكال حروف الكتابة النبطية والسينائية.

١- مجموعة من المؤلفين - مجلد المعرفة - عام ١٩٨٣- ص ٩.

هذه اللوحة الجدارية تبين الترف الذي وصل إليه الآشوريون وقد علق أمامه على شجرة النخيل رؤوس أعدائه وحاملا بيده رياحين ليغطي على الرائحة المنتشرة (موجودة هذه اللوحة في متحف اللوفر في فرنسا).

بعض الأحجار التي وجدت في سوق الطويل في حماة (حصلت على هذه الصورة من المتحف البريطاني).

نهايات الألف الثاني قبل الميلاد في سورية ولبنان وشرق الأردن، وما إنْ حلَّ القرن التاسع قبل الميلاد حتى اتخذت هذه البلاد الطابع المشرقي بصفة أبدية ولم تتأثر بقدوم العناصر الأجنبية كالحوريين وغيرهم، وظهرت بعدها لهجات محلية كالأوجريتية (نسبة إلى أوغاريت) واللهجة الجبلاوية (نسبة إلى جبيل) وفلسطينية قديمة (لهجة محفوظات تل العمارنة) واللهجة الآرامية.

زار السائح الإنكليزي (بروكهارت burckhardt) حماة ١٨١٢م، لاحظ في أحد أسواقها حجراً ورموزاً عديدة ظنها هيروغليفية، لكنَّها أشكلت عليه بداية لكن بعد تدقيقٍ قال: إنَّها تختلف عن الرسوم والرموز الهيروغليفية المصرية. وقد بقيت كلمة (بروكهارت) عشرات من السنين دون أن تسترعي أنظار أحد من الأثريين الذين كانوا يصرحون في كتبهم بأن حماة خالية من العاديات الهامة.

وفي سنة ١٨٧٠م زارها العالمان الأمريكيان (أغسطوس جونسون) قنصل الولايات المتحدة في دمشق، والمبشر البروستانتي (زسوب) فبلغهما أنَّ في حماة أحجاراً كثيرة منقوشة غير الحجر الذي رآه (بروكهارت، إلّا أنَّ القنصل عاد واتفق مع رجل يعمل بالتصوير على أنْ يستنسخ له تلك النقوش، فجاء هذا وقام بالمهمة، ولما وصلت النسخ إلى دمشق نشر القنصل بعضها، فأثارت رغم نقصها اهتماماً عظيماً لدى علماء الآثار وعرفوا أنَّها من آثار الحثيين. فنشطوا من ذلك الحين لزيارة حماة ومشاهدة أحجارها وآثارها الحثية، وكان الإنكليز هم السبّاقون إلى ذلك أمثال: (دراك وبرتون وفريكت وسايس ودلويس) وقد قصَّ عليهم (ساسي) في كتابه الخاص بتاريخ ممالك الحثيين وكتابتهم المطبوع سنة ١٨٨١م كيف توصلوا لاستخلاص تلك الأحجار من أيدي أهل حماة الأشداء. وفي عام ١٨٦٢م عثر أيضاً في حماة على أحجار عليها كتابة مماثلة ثمَّ توالت الاكتشافات حيث تم العثور على أحجار مماثلة في مدينة حلب وتركيا، وهذه الاكتشافات دلَّتْ أخيراً أن الحثيين كانوا لا يقلون شأناً عن المصريين والحوريين، وفي عام ١٣٨٠ قبل الميلاد استولوا على مملكة ميتاني في سورية وبسطوا نفوذهم على سورية وبلاد ما بين النهرين وانتصروا على (رمسيس) فرعون المصريين على يد الملك (مواتلتي) في قادش عام ١٢٨٦ قبل الميلاد، وبعد ذلك بخمسين عام انهارت حضارة الحثيين عندما طغوا في البلاد –هذه سنة الله في خلقه– وفي الألف الأول قبل الميلاد أتى إلى بلاد ما بين النهرين شعبٌ نشأ في اليمن حيث أقاموا سدوداً عظيمة لاتزال شواهدها باقية حتى الآن (منها سد مأرب العظيم) الذي ذكر في القرآن الكريم.

إن هذه الصورة توضح بجلاء البراعة الحربية التي توصل إليها الحثيون التي انتصروا بها على الفراعنة وأحد الأسباب المهمة التي ساعدتهم على ذلك هو اختراعهم العظيم لتطوير العربة الحربية حيث وضعوا محور العجلتين في منتصف صندوق العربة ما خفف ثقل أحمال هذه العربة على الحصان وحمّل الثقل الأكبر على المحورين وهذا زاد من سرعتها كثيراً وجعل العربة ذات مناورة بارعة ودون انتقال أي ثقل إلى الحصان عند التوقف بينما عربة الفراعنة والأشوريين فإن نصف حمولة العربة يتحملها الحصان في حالة التوقف وهذا يؤدي إلى إجهاد الحصان قبل أن يجر العربة.

وعند انهيار السَّد إثر زلزال عنيف كانت الهجرة لا بدَّ منها لكثير من القبائل التي استوطنت منطقة القطيف في المملكة العربية السعودية حسب آخر الاكتشافات، وابتدأت الانطلاقة منها لكثير من المناطق منها: البحرين وعمان وبيبلوس (جبيل) وبيروتي (بيروت) آتية إلى الساحل السوري (أوغاريت - رأس شمرا) حيث كان لهم الفضل في أعظم اختراع على مرِّ العصور أبداً (الأحرف الأبجدية) حيث برعوا أيضاً في صناعة السفن وقد أبحروا بها لمسافات لا تخطر على بال بشر في ذلك الزمن، فكثير من المكتشفات الحديثة أثبتت أنَّ الكنعانيين وصلوا إلى أمريكا.

النص الفينيقي المكتشف على صخرة (باريبا). في البرازيل يعود إلى بداية الألف الأول قبل الميلاد أي إلى ما يقارب من ٢٥٠٠ عام قبل كريستوف كولومبوس.

ولا بدَّ أنَّ براعتهم في الهندسة المائية التي ورثوها عن أجدادهم قد أتت ثمارها بعد عدة عقود. فعند استيطانهم في بلاد ما بين النهرين انبهروا بذلك الدولاب الذي وجدوه يعمل في كثير من شؤون حياتهم، فكانت العربة الحربية وكان (الدولاب) لتصنيع الفخار ولا بدَّ أنَّه كان لهم الفضل في تزاوج فكرة الدولاب والماء معاً، وقد وجدت هذه النقوش في كثير من الأماكن، وهي تعبِّر تماماً عن فنهم في استخدام الدولاب. إنَّ توسع الكنعانيين في بلاد الرافدين وتغلغلهم لاكتشاف مناجم القصدير والذهب والنحاس كان له أهمية عظيمة في ظهور عصر البرونز (٢٠٪ قصدير - ٨٠ ٪ نحاس) وقد وصل الكنعانيون (الفينيقيون) إلى مناطق بعيدة جداً عن أماكن استيطانهم، وذلك بفضل شجاعتهم وحبهم للتجارة. وفي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد كان الآراميون يتغلغلون في الدولة الآشورية والبابلية و العمورية وكانت لهجتهم أسهل من الأكَّديّة وقبل أن تنهار تلك الدولتان العظيمتان غدت اللهجة الآرامية هي اللهجة المسيطرة على بلاد الشام وبلاد الرافدين بلا منازع، وأزاحت الأكَّديّة الأم التي تكلم بها الناس لأكثر من ألفي سنة لتصبح فيما بعد الآرامية لغة دولية يسهل استخدامها بفضل أبجديتها العملية.

دمية من الطين تعود إلى ٢٥٠٠ قبل الميلاد.

كان سارجون الأكادي احتلَّ بابل كلّها حتى الخليج العربي جنوباً والجهة الغربية من المنطقة العليا لنهر الفرات ثمَّ إلى البحر المتوسط واستمرَ حكم الآشوريين ٥٠٠ عام حيث أخذَ البابليون يستعيدون قوتهم تدريجياً فطردوا الآشوريين في عام ٦١٢ قبل الميلاد وقد تحالف ملك بابل نابوبولاسار مع الميديين على غزو خاتي عاصمة الحثيين، فاحتلوها وطابَ لهم العيش لمدة بلغت ٨٣ عاماً، حيث أَفَلَتْ الإمبراطورية البابلية إلى الأبد، هذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

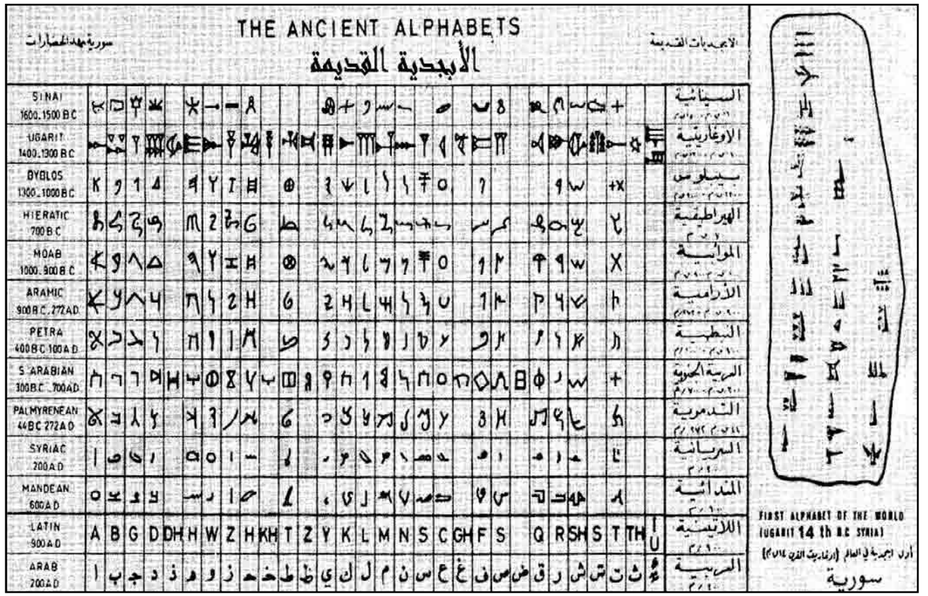

جدول يبين جذور اللغة العربية القديمة وانبثاق العديد من اللهجات منها.

وكان قد ظهر في جيرانهم الفرس، نبي اسمه (زراديشت) نفح فيهم شعلة الإيمان من جديد وقد جمعت آيات الله وتعاليمه في كتاب سمي (البوستاق) لايزال في إيران عشرات الآلاف من يؤمنون بالديانة الزراديشتية، رغم أنَّه بشّر أتباعه بظهور نبي بعده اسمه (أحمد) فما كان من ساريوس أول ملوك الفرس (كورش) إلّا أنْ احتلَّ بابل دون مقاومة فأصبحت بلاد مابين النهرين ولاية من ولايات الإمبراطورية الفارسية.

وفي عام ٥٥٠ قبل الميلاد تمكن أيضاً من احتلال مملكة ميديا التي كانت تقف في وجهه ،وتمنع تقدمه نحو الإغريق (اليونان) ثمَّ خبت شعلة الإيمان التي أشعلها زراديشت.
وفي عام ٣٣٠ انتصر الإسكندر الأكبر على الفرس في معركة إيوس. فأصبح للإسكندر الأكبر أراضٍ لعدة حضارات سادت ثمَّ بادت وبعد موته تمَّ تقسيم هذه البلاد بين قواده ليصبح التاريخ معروفاً لدى الجميع.

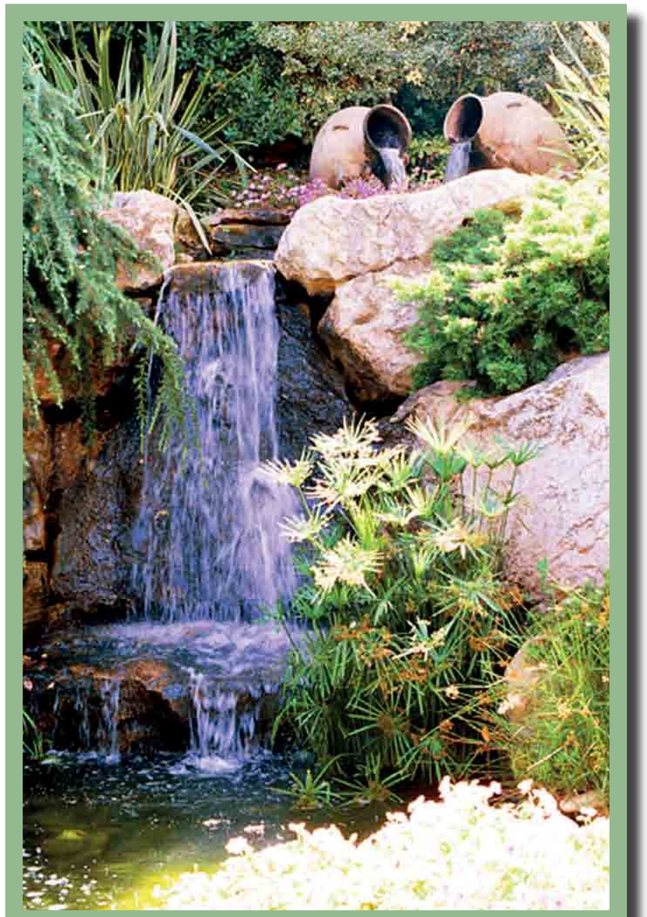

هذه الموسوعة

موسوعة "حماة درَّة على جبين سوريا" هي أول وأضخم موسوعة علمية سياحية تاريخية مصوّرة عن حماة مدينة وريفاً. تحمل في صفحاتها مسرح أحداث وتفاصيل أمكنة وأزمنة تشابكت فشكلت لوحات فنية مصورة بالكلمات وعدسة المؤلف نفسه لمدينة هي واحدة من أجمل مدن العالم ـ والتي تستطيع أن تبرز سياحياً لو سوِّق لها كما يجب لجمالها وجذورها التاريخية والإنسانية الحضارية العريقة والعتيقة ـ

حماة ـ ليست درة على جبين سوريا فقط بل هي وتر الحياة في قلب المؤلف وهي بصمة وطنٍ وملامح هوية في نظر دار أبي الفداء العالمية للنشر المشرف العام على الموسوعة

❖❖❖

وعلى كل حموي يعيش اليوم في مدينته أو يسكن في أي مكان من هذا العالم أن يقتني في مكتبته نسخة من هذه الموسوعة لأنها ذاكرة من كلماتٍ وصورٍ له ولأولاده وأحفاده عصراً تلو آخر ـ ونحن اليوم أحوج ما نكون لهذه الذاكرة وهذا الانتماء وتلك الهوية

هي موسوعة تضمُ معلومات قيمة قد لا يعرف كثيراً منها أهل المدينة أنفسهم ـ وتتضمن أسئلة حول قضايا مصيرية كبرى تتعلق بلغتنا وهويتنا وموقعنا الحضاري ـ أسئلة تثير الجدل وتحرك أحصنة الأفكار كي تصهل أمام بوابات الحقيقة ـ

❖❖❖

اليوم ـ نستجيب لرغبة المؤلف فننشر في فضاء الإنترنت الموسوعة على أجزاء، ثم تالياً سننشرها في نسخة ورقية فاخرة تليق بمقام مدينة حماة ومستوى ما في الموسوعة من كلماتٍ بحثية وسردية وصور فنية وتوثيقية

❖❖❖

تسدُ هذه الموسوعة حاجة معرفية وتشبع فضولاً سياحياً وتنصف مدينة لها صلة رحم بالدهر، وهي تتضمن رسائل للمؤلف غير مكتوبة ظاهرياً ولكن لها صوت كامنٌ وراء الكلمات والسطور والصور يسمَعه كل لبيب

د. منقذ العقاد

الرئيس التنفيذي لدار أبي الفداء العالمية للنشر

ISBN 978-9933-9129-1-8

9 789933 912918

دار أبي الفداء العالمية للنشر والتوزيع والترجمة